

أنا وأنت على الطريق

كعكة عيد ميلاد إحدى الأميرات الإماراتية بوزن سيارة

صديقتي المستمعة، هل سمعت بأن كعكة عيد ميلاد إحدى الأميرات الإماراتية هي بوزن سيارة؟ وأن سيارة الـروز رويز التي تدور في أنحاء لندن هي لهذه الأميرة بالذات؟ هذا هو الخبر الذي نقلته إلينا إحدى الصحف العربية. فتعالى سيدتي نستمع إلى ما جاء فيه من غرائب وعجائب الدنيا. يقول: قد تلتفت لتتأمل عيناك سيارة رولز رويس فاخرة مرت أمامك صدفة. ولكن ما بالك لو مرت تلك السيارة المميزة بلون زهري لم يسبق له مثيل؟ في المرة المقبلة التي تقابل بها هذه السيارة في أحد شوارع لندن، اعلم أن صاحبها هي سيدة المجتمع الإماراتية علياء السويدي. بلوحة ٧٨ دبي تتجول الأميرة الإماراتية علياء السويدي بسيارتها الـ رولز رويس المعدلة على ذوقها في شوارع لندن لتلتفت معها رؤوسا وعلامات اندهاش من المارة. وتتميز السيارة بلونها الفاقع ومادة الكروم التي غطت المحرك وصندوق السيارة الفاخرة. كما أدخلت علياء اللون الزهري على إطارات الدواليب ولم تبخل بتصوير السيارة مرارا وتكرارا ونشر صورها على حسابها الشخصي في موقع أنستغرام. وكانت السيارة أثارت فضول عدد كبير من سكان لندن الصيف الماضي، ليكشف موقع متخصص بأخبار السيارات هوية صاحبها أخيرا. فعلياء التي لا تبخل على محبيها بنشر صور تفاصيل حياتها الدقيقة واليومية نشرت مئات الصور الفخمة والأنيقة لمقتنياتها من سيارات وإكسسوارات وحتى الحيوانات. حتى إن علياء قامت أيضا بنشر صورة للحساب المصرفي الخاص بوالدتها والذي بلغ أكثر من خمسمئة مليون ريال. إلى هنا ينتهي الخبر.

ليست الأميرة علياء السويدي في الإمارات هي التي تقوم بعرض ما لديها من سيارات ومقتنيات فحسب، يا سيدتي، بل إن حياة البذخ والإسراف التي تطغي على الكثيرين من الأمراء والحكام ومن هم في منصب بارز، كالأمير الذي قام بدفع نصف مليون دولار لمجرد مقابلة إحدى الممثلات الأمريكيات، هذه كلها أشياء مؤسفة تحصل في عالم يتخبط الآن بالحروب والويلات . كيف يمكن للإنسان الثري بهذا الشكل أن ينسى ما يجري من حوله فيعيش في قوقعته الخاصة ودائره وكأن ما يجري لا يمت إلى مجتمع الإنسان بصلة! نعم يا سيدتي، عندما منح الله الإنسان هذه النعم والخيرات، لم يكن هدفه من وراء ذلك العيش بهذا البذخ والإسراف المثيرين للاستغراب. ثم علام يدل هذا النوع من العيش يا سيدتي؟ ألا يدل على الأناية وحب الذات؟ ألا يشير إلى لفت الانتباه وطلب المجد للنفس والتعمر بالرفعة والقوة والقدرة؟ ثم ألا تشير أيضا إلى محاولة ملء فراغ ما في النفس والروح؟ فراغ القلب والكيان الداخلي؟

هذه كلها أسئلة تثار حين نقرأ سيدتي هكذا خبر عن أمراء يبعثرون أموالهم التي هي من أموال الشعب الذي يحكمونه. على أي حال ومن أي مصدر أتى هذا المال والثراء العجيب، فإن الإنسان مسؤول أمام الله الخالق على هذا المال الذي أوكله عليه ولم يكن ملكه قط. لأن الأرض وكل ما فيها هي لله الخالق العظيم.

يخبرنا الإنجيل المقدس يا سيدتي بهذه القصة المشابهة التي جرت أحداثها حين كان الرب يسوع المسيح الفادي على أرضنا هذه قال للناس الذين كانوا في المجمع يسمعونه يعلم: انظروا وتحفظوا من الطمع. فإنه متى كان لأحد كثيرٌ فليست حياته من أمواله. وضرب لهم مثلا قائلاً: إنسان غني أخصبت كورته، ففكر في نفسه قائلاً: ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري. وقال: أعمل هذا أهدم مخازني وأبني أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلي واشربى وافرحى. فقال له الله: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون ؟ هكذا الذي يكتنز لنفسه وليس هو غنياً لله. (لوقا ١٢: ١٣ - ٢١)

إن ما تكلم عنه الرب يسوع المسيح المخلص، يا سيدتي، ليس هو المال بحد ذاته. بل ما يفعله الإنسان بماله وراثته. لهذا قال إن حياة الإنسان الثري ليست هي من أمواله. الثراء إذن ليس هو ثراء المال ، والمقتنيات ، لهذا قدم المثل عن الغني الذي دعي غنياً لأنه لم يستثمر في حياته كلها إلا لنفسه وما تحتاج إليه نفسه من خيرات وطعام ومخازن وأهراءات. أما حياة الإنسان فهي تحمل بعداً آخر هو بعد روحي أسمى وأرفع من المادة وما يحيط بنا من مقتنيات وأموال. فالمادة إذا ما سيطرت على تصرفات الإنسان وأخذت كل اهتماماته، لن تجديه نفعاً. قال يسوع المسيح مرة: لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. فحياة الإنسان حياة خالدة أبدية، لأن فيها نسمة من روح الله تعالى.

هذه الحياة التي نعيشها على هذه الأرض هي زائلة ومؤقتة، أما الحياة بعد الموت فهي الحياة الباقية إلى الأبد. لذا قال له الله: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك وهذه التي أعددتها لمن تكون؟ وحين انتهت حياته على الأرض لم يكن مستعداً أن يواجه الله الخالق وهو بعد خاطئٌ أثيم مليء بالمعاصي والآثام. ترى أين هو اهتمامنا سيدتي؟ عسانا نتعلم من المثل الذي قدمه المسيح ونوجه انتباهنا إلى حياتنا الباقية كيف؟ أن نأتي إلى الله القدوس عن طريق الفادي يسوع المسيح الذي بين لكل إنسان محبة الله العظيمة إذ مات عن البشرية وقام ليمنح كل من يؤمن به حياة أبدية. وهكذا يحظى الإنسان التائب على الغفران الكامل عن خطاياها .